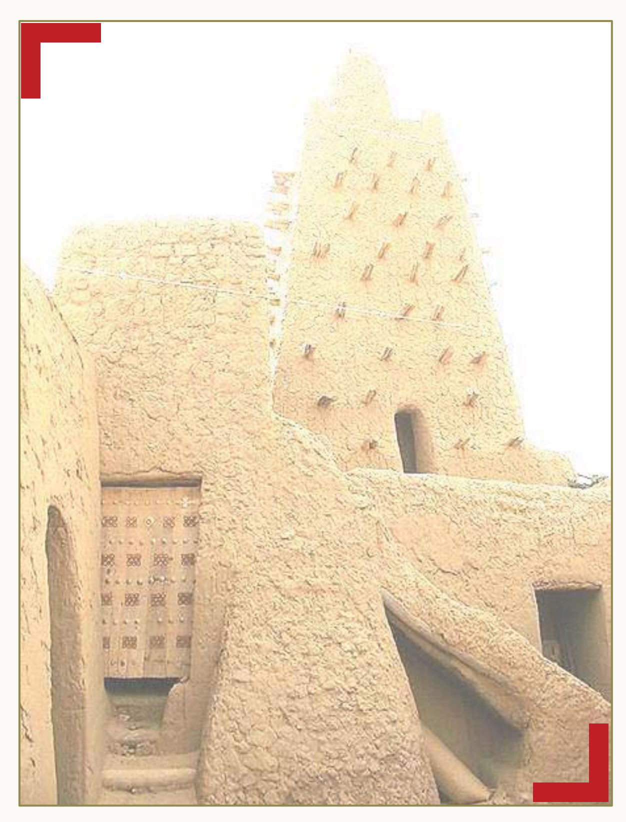


مدينة تنبكت (تمبكتو) "نشأة المدينة وتطورها"



عبد الحميد جنيدي

ماجستير تاريخ الدراسات الإفريقية

كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية

جامعة الجزائر – الجمهورية الجزائرية

الاستشهاد المرجعي بالدراسة:

عبد الحميد جنيدي، مدينة تنبكت (تمبكتو): نشأة المدينة وتطورها.- دورية كان التاريخية.- العدد السادس عشر؛ يونيو ٢٠١٢. ص ١١١ – ١١٩.

www.kanhistorique.org ISSN: 2090 – 0449

خمسة أعوام من الدراسات التاريخية ٢٠٠٨ – ٢٠١٢

ملخَص

حظيت مدينة تنبكت بأهمية خاصة بين مراكز العمران والاستقرار، لأنها أصبحت ملتقى الحضارة العربية الإفريقية بعد تأسيسها على يد قبائل (مقشران) الطارقية، في القرن الخامس الهجري/ الحادي عشر الميلادي. وكان لموقعها المهم على الحافة الجنوبية للصحراء الكبرى بما يطلق عليه منحنى نهر النيجر، أغلب الأثر في ازدهارها السياسي، والاقتصادي والاجتماعي ، والفكري عبر الزمن.

تتناول هذه الدراسة نشأة مدينة تنبكت (تمبكتو) وتطورها، من خلال إشكالية التسمية والإطار الجغرافي للمدينة وأهميته، ثم التركيبة السكانية للمدينة، ثم دراسة تطور المدينة بمعنى دراسة مظاهر العمران بالمدينة، وأخيرًا التطور السياسي للمدينة بتوضيح أهم القوى السياسية التي تعاقبت على حكم المدينة وما خلفته من أثار.

مُقدِمة

مدينة تنبكت "تمبكتو" حملت أسماء عديدة منها: "المدينة المقدسة في السودان"، و "المدينة البهية" و"المدينة الأبدية"، و"المدينة العجيبة"، و"المدينة الأسطورية"، و"مدينة الإشعاع الثقافي"، و"جوهرة الصحراء" ، وغيرها من الأسماء الأخرى التي عكست حضارتها على مدى ثلاثة قرون. ونأمل أن تساهم هذه الدراسة في التعريف بتاريخ مدينة تنبكت (تمبكتو)، تعريفًا من شأنه أن يقرب إلى الدارسين والباحثين وغيرهم تاريخها، ويعكس رؤية واضحة عن ماضيها. وحسبنا كشف معالم الطريق لمزيد من البحث والدراسة، والمجال مفتوح أمام الباحثين في زيادة البحث عن تاريخها، بالإضافة إلى تاريخ ودور بعض المراكز السودانية الأخرى التي لا تقل أهمية عن مدينة تنبكت (تمبكتو)، فقد لعبت هذه المراكز دورًا اقتصاديًا وثقافيًا من أجل تنمية المنطقة، ونذكر من هذه المراكز مدينة جني، و قاو... وغيرهما.

الهدف من الدراسة

إبراز أهمية مدينة تنبكت (تمبكتو) كونها ارتبطت بدول شمال الصحراء؛ إذ قصدها التجار والعلماء من الشمال الإفريقي خاصة من الجزائر وليبيا، والمغرب عبر الصحراء الكبرى، إذ اعتبرت همزة وصل بين دول الشمال الصحراء ودول جنوب الصحراء.

أولاً: إشكالية التسمية ونطقها

إن أول ما يعترض الباحث في تاريخ مدينة تنبكت (تمبكتو) الإسلامية هو أصل التسمية وكيفية نطقها. فيما يخص الملاحظة الأولى، قامت مدينة تنبكت (تمبكتو) الإسلامية حول بئر ماء كانت تقف عندها الإبل بالقوافل التجارية لتروي عطشها وتتزود منها، وتملأ منها قربها. وكانت تقيم عند هذا البئر عجوز تدعى بوكتو وعُرف المكان باسمها، ونطقت تينبوكتو.[١]

أورد عدد من المؤرخين، أن كلمة تينبوكتو مركبة من كلمتين هما: "تين" وتعني باللغة الطارقية "مكان "، و"بوكتو" هو اسم تلك العجوز، هذه العجوز[٢] اشتهرت بالأمانة،[٣] وكانت تقيم في ذلك المكان وكان الطوارق وأهل المنطقة القادمون من أماكن بعيدة يستأمنونها في تخزين مؤنهم، وبعض الأشياء الأخرى، التي كانوا في غير حاجة لنقلها معهم إلى مناطق استقرارهم في الشمال، وكان عندما يصل الطارقي إلى موطنه الأصلي يسأل، أين أمضيت فترة الجفاف؟ أو أين لجأت بقطعان ماشيتك أثناء سفرك؟ أو أين خبأت أمتعتك؟ يقول: وضعتها عند "تين – بوكتو"، ومع مرور الزمن اندمجت الكلمتان معًا فأصبحت "تين بوكتو"، ثم تمبكنو، وتنبكت، وبذلك سميت المدينة.[٤] ولا يزال مكان بوكتو العجوز الطارقية، التي ينسب إليها اسم المدينة موجودًا، وهو حاليًا عبارة عن مثلث يقع في قلب المدينة القديمة.[٥]

أما فيما يخص الملاحظة الثانية، فإن الاختلاف وقع في حركات الكلمة بين مَن يقول بضم التاء الأولى، والثانية فنطقت "تنبكت"، وهذا كما جاء في المصادر السودانية، تاريخ السودان للسعدي، وكذلك في كتاب الفتاش لمحمود كعت، وأيضًا في كتاب نيل الابتهاج وكتاب كفاية المحتاج لمعرفة من ليس في الديباج، لأحمد بابا التنبكتي، وكذلك وجدت في كتاب تذكرة النسيان في تاريخ ملوك السودان لكاتب مجهول، ومَن يقول بضم التاء وسكون الباء الموجودة وسكون الكاف، وضم التاء الثانية بعد الواو فنطقت "تنبكتو"، نطقها ابن بطوطة بهذا اللفظ ، في كتابه تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار. وفي الحقيقة، أن هذه اللفظة هي أقدم صيغة وردت لاسمها في رحلته رحلة ابن بطوطة. أما الحسن الوزان فنطقها "تومبكتو" في كتابه وصف إفريقيا، ونطقها صاحب كتاب إفريقيا كربخال مارمول "تمبكتو" تارة ، وتارة أخرى "تنبكتو".

أما الباحثون المعاصرون فنطقوها "تمبكتو" بالتاء والميم، منهم: عبد القادر زبادية إسماعيل العربي، آدم عبد الله الالوري ... وغيرهم. أما الأوربيون فنطقوها بالتاء، والميم أيضا منهم : ديبوا بارث، رينيه كالييه وغيرهم. والنطق للكلمة يتغير خلال اللغات، فباللغة الفرنسية تنطق "تومبكتو" (Tombouctou)، وباللغة الإنجليزية " تيمبوكتو" (Timbouctoo)، أما في لغة سنغاي فنطقت "تومبوكتو".[٦]

ثانيًا: النشأة

بعد أن بحثنا في أصل التسمية، ورأينا اختلاف الكُتَّاب في شكل كتابة اسمها، ونطقها، سنتطرق الآن إلى تاريخ نشأة المدينة وعلى يد مَن أنشئت؟ فقد اختلف عدد من المؤرخين في تاريخ نشأة المدينة؛ يرى عبد الرحمن أن المدينة أنشئت على أيدي طوارق مغشرن، في أواخر القرن ٥هـ/١١م ، هؤلاء كانوا ينزلون بها في فصل الصيف، ثم يرتحلون في فصل الخريف، ومنه اختاروا موضع هذه البلدة الطاهرة الزكية.[٧] أما الحسن الوزان الغرناطي، فيقول أن المدينة بناها ملك يدعى منسى سليمان في عام ٦٠٠هـ/١٢٠٤م.[٨] أما مارمول فيوافقه في مؤسسها، ويختلف معه في تاريخ قيامها يرى أنها تأسست في ٦١٠هـ/ ١٢٠٠م، غير أن هذا الأخير يبدو أنه غير متأكد.[٩]

هذان الرأيان الأخيران مردودان على صاحبيهما، لأن الملك منسى سليمان، حكم مملكة مالي في عام ٧٤٢هـ/١٣٤١م، وأستمر حكمه إلى غاية ٧٦٢هـ/١٣٦٠م.[١٠] أما المؤرخ فيج فيرى أن المدينة أقيمت في سنة ١١٠٠م من قبل الطوارق[١١] الذين هاجروا بقطعانهم جنوبًا من أروان[١٢] في الإقليم الشمالي واستخدمت في البداية كمضرب خيام موسمي في الصيف، ثم كمستودع لحفظ الأغذية، والمواد التموينية الأخرى.[١٣] أما الباحث الإنجليزي سبنسرتر منجهام، فيرى أن تاريخ نشأتها كان في أواخر القرن ٥هـ في سنة ٤٩٠هـ / ١٠٩٧م،[١٤] في عهد يوسف بن تاشفين.[١٥]

أختلف المؤرخون في تحديد تاريخ نشأتها، يقول البعض أن ذلك كان في القرن ٥هـ/١١م ، أما البعض الأخر فيقولون في نهاية القرن ٦هـ /١٢م. ونحن نميل إلى رأي عبد الرحمن السعدي الذي يرى أن تاريخ نشأتها كان في أواخر القرن٥هـ/١١م، وذلك لأنه أبن المدينة، ويعرفها أحسن من غيره. كما يتضح من خلال هذه الاختلافات، أن المدينة انشئت على يد الطوارق، طوارق مغشرن، ولا يختلف اثنان في كون الطوارق هم مؤسسو تنبكت الأوائل.[١٦] ويقول المؤرخ سينكي مودي سيوكو: " ...نسلم اليوم، تبعًا لتاريخ السودان الغربي، يقول، بأن تنبكت كانت قد تأسست في بداية القرن ٥هـ/١١م من طرف قبائل الطوارق...".[١٧]

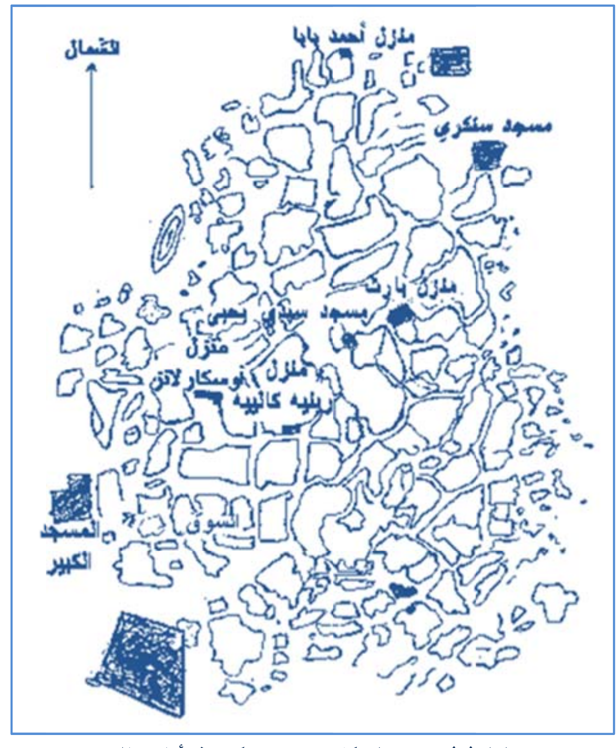
ثالثًا: الموقع الجغرافي

لاحظنا أن الطوارق هم آباء مدينة تنبكت، وهم مؤسسوها، أي لهم الفضل في إقامتها بعد أن كانت مجرد خزانة لزروعهم وأمتعتهم. تقع مدينة تنبكت في أول السودان الغربي،[١٨] على الحافة الجنوبية للصحراء الكبرى قريبة من خليج النيجر "نهر النيجر".[١٩] تقع على الضفة اليسرى منه،[٢] على ارتفاع ٢٤٥م من مستوى النهر،[٢٠] بينها وبين النهر في فصل الصيف مسافة ستة عشر(١٦) ميلاً، أي نحو(٢٦كلم) تقريبًا،[٢١] وفي فصل الخريف يقرب إليها ماء النهر يصبح على بعد سبعة (٧) أميال، أي نحو(١١كلم) تقريبًا، وفي فصل الشتاء يصل ماء النهر إلى القرب من المدينة، وبالتالي يسهل حركة السفن الصغار.[٢٢] وبالتالي تستفيد من مزايا نهر النيجر وذلك في النقل النهري، وهي بعيدة عنه بالكفاية، بحيث تجنب الفيضانات العارمة التي اشتهر بها النهر.[٢٣]

تقع المدينة على خط العرض الشمالي ١٦ ° – ٤٣ °، وخط الطول الشرقي٥ °[٢٤]. وهناك مَن يقول أنها، تقع على خط عرض ١٧° - ٤٠ °، وخط طول٣ ° – ٥٠ °[٢٥]. رغم اختلاف الباحثين في تحديد موقعها الفلكي، إلا أنها مدينة نمت من أصولها المتواضعة، ثم أصبحت ذات مكانة مميزة بفضل موقعها الجغرافي الفريد لوقوعها بين الصحراء الكبرى، والساحل السوداني الغربي الشمالي، فهي بذلك نقطة التقاء، وتقارب بين الشمال والجنوب.[٢٦] والمدينة

دورية إلكترونية .مُحكَّمة .ربع سنوية ISSN: 2090 – 0449

هي بناء على جانبين من واحة متجهة شرق - غرب وعلى الميل الجنوبي لثاني واحة موازية للأولى وبالشمال منها. الشكل العام للمدينة هو واحد من مثلث قاعدته بالجنوب،[٢٧] (انظر: المخطط رقم: ١)، ومحيطها نحو٣أميال،[٢٨] أي نحو(٥ كلم) تقريبًا.



مخطط (١) تقريبي لشكل مدينة تنبكت في أواخر القرن ١٩م
بتصرف عن: Dubois, (F), op. cit, P. 385

والمدينة مقسمة إلى العديد من المناطق قسمها العالم النمساوي، الدكتور أوسكارلانز، الذي زار المدينة في عام ١٢٩٧هـ/١٨٨٠م، وبقى بها ثلاث أسابيع، إلى سبع (٧) مقاطق وهي:

١- حي سنا قونقو Sanegoungou، إلى الجنوب الشرقي من المدينة، ويقطنه تجار غدامس.

٢- حي يوبو YouBou،وفيه سوق يوبوyoubou ومسجد، ويقع هذا الحي غرب حي سناقونقو.

٣- غرب حي يوبو، يوجد حي سنقوربيرأو(ديجنقر) Sanguereber.ويحمل هذا الحي أسم الجامع الكبير.

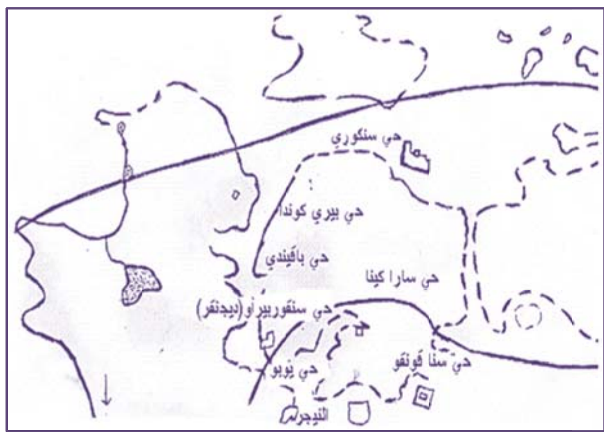
٤- وشمال حي سناقونقو يوجد حي سارا كينا Sarakaina.

٥- حي بيري كوندا Biricounda، وبه سوق اللحوم.

٦- حي باقيندي Baguindi.

٧- حي سنكوري Sankoré.[٢٩] (انظر المخطط رقم: ٢).

هذه الأحياء عامرة بمختلف السكان، ومن أصول مختلفة[٣٠]. وهي نقطة بحثنا في العنصر الموالي.



مخطط (٢) تقريبي لأحياء مدينة تنبكت
بتصرف عن: Sekens, (M, C), Op, Cit, P. 243.

رابعًا: التركيبة الاجتماعية

رأينا في الفقرة السابقة، أن مدينة تنبكت تحتل موقعًا استراتيجيًا، وقد مكنها موقعها المتميز إن تصبح مقصد العديد من الأجناس. فقد أكد عبد الرحمن السعدي، أن المدينة سكنها الأخيار من العلماء والصالحين، وذوي الأموال من كل قبيلة، ومن كل بلاد من أهل مصر، ورجل (ورقلة) وغدامس وتوات ودرعة وتفلالة وفاس وسوس[٣١] وبيط. وانتقل الجميع إليها وسكنوا فيها، وزيادة على ذلك قبائل صنهاجة بأجناسها،[٣٢] إضافة إلى ذلك سكنها علماء قبائل جدالة العربية، وعلماء كونتا القادمون من إدرار الذين جاؤوا تنبكت بعد أفول ولاتة،[٣٣] واستقروا هناك. كما أن سكان محليون قدموا من مختلف مناطق السودان الغربي، حيث أقاموا مواقع لسكنهم فيها بهدف الاستقرار الدائم.[٣٤]

وانبث المرابطون في القرى، يعلمون القرآن، والكتابة بالعربية، وكان أبناء المشايخ يأتون إلى تنبكت لتحصيل العلم، هذا كان من جهة البربر الذين زحفوا من الشمال. أما العرب فإن إحدى فصائل بني هلال تقدمت من نواحي طرابلس إلى واحة ودان،[٣٥] ومن هناك إلى ولاتة، ثم تقدمت نحو السودان فتلاقت مع البربر الآتين من الشمال الغربي واختلطت بهم،[٣٦] حدثت هناك مصاهرة بين السودانيين والعرب، والبربر المقيمين عندهم، لاسيما الأغنياء منهم، فكانت المصاهرة تتم حتى مع ملوك السودان، فقد قام أحد ملوك مالي بتزويج ابنتيه من أخوين من المغرب، كما أن زعيم اللمتونين أبا بكر بن عمر فاتح بلاد السودان، قد زوج إحدى بناته لأحد ملوك مالي أيضًا.[٣٧] وحدثت مصاهرات بين المغاربة من فاس وأهالي تنبكت، فقد أورد محمود كعت زواج الشريف الحسني أحمد الصقلي في تنبكت، من امرأة عربية من أهل تافلالت اسمها زينب فولدت له مزوار ومحمد وسليمان ورقية، وزينب.[٣٨]

في القرن ٧هـ/١٣م، هاجر أهل كونتة وغيرهم من بلاد توات إلى الجنوب، وبنوا في تنبكت المدارس والرابطات مما لمعت به تلك المدينة طويلاً، ومن هؤلاء الكونتة البكاءون الذين اشتهروا في جهات تنبكت.[٣٩] واستقربها الكثير من التجار التواتيين حتى أصبحت

دورية إلكترونية .مُحكّمة .ربع سنوية ISSN: 2090 – 0449

الجالية التواتية هناك من أكبر وأنشط الجاليات، وكان دور الفقهاء التواتيين لا يقل أهمية عن دور التجار.[٤٠] يذكر المؤرخ فليكس ديبوا في كتابه تمبكتو العجيبة، الذي زار المدينة في نهاية القرن ١٩م، إن حيًا بكامله داخل المدينة كان يترأسه التجار القادمون من طرابلس، كما أن حيًا بكامله بالمدينة كان معروفًا باسم حي الغدامسية، نسبة إلى مدينة غدامس.[٤١] يُعد ذلك الحي أرق أحياء المدينة وأجملها ونتيجة لذلك فقد اختارته العساكر المراكشية عندما احتلت تنبكت لبناء القلعة، فليس غريبًا إذن أن ينال أفراد الجالية الغدامسية أهمية وحظوة فعندما توفى فياض الغدامسي خرج للصلاة عليه أشهر فقهاء تنبكت. لقد احتلت الجالية الغدامسية أهمية كبيرة، وذلك مرجعه إلى الأثر التجاري المهم والعريق الذي أسهم به أفراد تلك الجالية.[٤٢]

وهناك أيضًا مجموعة من البرابيش الذين يقيمون بالمدينة هؤلاء سكنوا تنبكت خلال منتصف القرن١٠هـ/١٦م.[٤٣] ويوجد عدد من تجار ولاتة الذين رحلوا إلى تنبكت بعد قيام هذه الأخيرة.[٤٤] وهناك عناصر من المورين الأندلس منهم المهندسون وملاك القصور،[٤٥] ومنهم التجار[٤٦]، ومنهم الشعراء، والباحثون الذين فروا من الأندلس حاملين معهم الثروات الثقافية الغرناطية والقرطبية.[٤٧] وهناك عائلة عربية في تنبكت تدعى توري، والتي كانت تلقب بتوري العرب، كونها تعد من أحفاد العرب أومن أحفاد أولئك المسلمين الأوائل الذين اعتنقوا الإسلام كما يؤكد سكان المنطقة أن معظم من يحملون لقب توري بتنبكت، ينحدرون من سلالة الجنود الذين جاؤوا مع الجيش المغربي إلى السودان الغربي خلال حملة الباشا جودر،[٤٨] هؤلاء يدعون اليوم بـ"أرما"،[٤٩] من أهل مراكش، أو الفاسي 'من فاس'، أو الفيلالي 'من تافيلالت' وهم يتكلمون لغة السنغاي.[٥٠]

وإذا انتقلنا في الحديث عن صفات وعادات أهالي تنبكت، نقول أن لأهل تنبكت طبعًا مرحًا ومن عاداتهم التريض في المدينة أثناء الليل بين الساعة الثانية والعشرون والواحدة صباحًا، وهم يعزفون على الآلات الموسيقية ويرقصون، ويعمل في خدمة سكان المدينة الكثير من الرقيق بين رجال ونساء.[٥١] ويحبون الخروج بعد الظهر رغم حرارة الجو فبعضهم يتنزهون على أحصنتهم في الشوارع، أما العلماء فيرتكزون على عصيهم، ويشكلون مجموعات صغيرة.[٥٢] ولا يخفى ما في أهلها من السماحة وحسن السياسة، والرياضة لا غلظة فيهم، ولا غظاظة لا ينكرون عادة غريب، ولا ينقصون أجنبيًا ولا غريبًا.[٥٣]

أما لباسهم، فهي ألبسة نظيفة[٥٤] ومعظمهم يلبسون ثيابًا ملونة باللونين الأبيض والأزرق، و لربما كان بعضها من المنسوجات المحلية. وكانت الشوارع مزدحمة بالمارة. أما النساء فغالبًا ما يرتدين الثوب الأبيض 'بوبوس'، وكانت الزينة تتخذ من النحاس، وهناك من النسوة من تضعن سوارًا من الفضة في أيديهن وحلقات من الحديد، والفضة في أرجلهن.[٥٥] أما النسوة الثريات فلهن بعض المجوهرات من الذهب كأقراط الأذنين[٥٦] والكهرمان، والشعر المظفر. بينما تتبسط نساء رجال الدين في ملابسهن وغالبًا ما يتخذ من الحجاب أو الخمار.[٥٧] ويلبسن الفساتين الجميلة المطرزة، والديسا 'Dissas' المزينة التي ترمى على الكتف مثل العباءة، والنساء يتركن الذهب والعنبر قبل الذهاب إلى السوق وعند جلب الماء.[٥٨]

وبالنسبة للأحذية الشكل العام للحذاء هو الحذاء العربي من نوع الخف مصنوع من الجلد الأصفر بالنسبة للرجال، والأحمر بالنسبة للنساء، وأحذية أخرى مزينة بالحرير ونعل رقيق. أما الأثرياء فيلبسون الأحذية الكبيرة 'Boute' الحمراء والصفراء. وعدد من السكان يلبسون أحذية بنعل من جلد البقر، ويسمى تيجلامبو (Tjelambou).[٥٩]

مدينة تنبكت في القرن ١٠هـ/١٦م هي شهادة لحياة التحضر، فالمدينة كانت جد حيوية، هناك مظاهر الزواج مع الطبل، والرقصات الليلية، والأناشيد، وهناك اثنان من الحفلات الكبيرة في السنة العيد الكبير المسمى عندهم تاباسكي (Tabaskie)، وهو حفل إسلامي في مصب نهر النيجر وبالخصوص تنبكت، وكذلك تخلد المولد النبوي الشريف.[٦٠]

أما بالنسبة إلي عدد السكان في القرن ٩هـ/١٥م فبلغ عدد السكان ٢٥,٠٠٠ نسمة[٦١]، وفي القرن ١٠هـ/١٦م قدر الباحث سينكي مودي سوكو عدد سكان المدينة في ذروة مجدها بحوالي ٨٠,٠٠٠ نسمة، وهذا في عهد الأسكيا داوود (١٥٤٩- ١٥٨٣م).[٦٢] أما المؤرخ فليكس ديبوا فيقدر عدد السكان في مرحلة الأوج بـ ٤٠ إلى ٥٠ ألف نسمة.[٦٣] أما عمار هلال فقدر عدد سكان المدينة في عهد الأسقيين بما يقرب ٣٠,٠٠٠ نسمة.[٦٤] وفي القرن ١٩م الرحالة الأوربي بارث، قدر عدد سكان المدينة بما يزيد عن ١٥,٠٠٠ نسمة، وفي بعض المناسبات يزيد عن ١٠,٠٠٠ نسمة، وفي حين بعض الأحيان يصلون إلى ١٣,٠٠٠ نسمة.[٦٥] وفي فترة الغزو الفرنسي على المدينة سنة ١٣١٢هـ/١٨٩٤م، قل عدد سكانها إذ أصبح عدد السكان يتراوح مابين ٥ إلى ٦ آلاف ساكن[٦٦]، أو ٨ آلاف نسمة.[٦٧] وفي أواخر القرن ١٩م انخفض العدد إلى ٥ - ٤ آلاف نسمة.[٦٨]

خامسًا: التطور العمراني للمدينة

أما بالنسبة للعمارة؛ فإن أول الحال كانت مساكن الناس عبارة عن زريبات الأشواك وبيوت الأخشاش، ثم تحولوا عن الزريبات إلى الصناصن، ثم تحولوا إلى بناء الحيوط أسوارًا قصارًا جدًا بحيث من وقف في خارجها يرى ما في داخلها، وتكاملت في البناء في أواسط القرن ١٠هـ في مدة حكم أسكيا داوود بن الأمير أسكيا الحاج محمد.[٦٩] ففي أوائل القرن ١٦م، زار المدينة الرحالة الحسن الوزان، ووصف بيوتها على أنها أكواخ مصنوعة من أعمدة مطلية بالطين مع سقوف من القش، وهناك قصر كبير قد بناه مهندس من الأندلس حيث يسكن الملك.[٧٠] وربما كان يقصد قصر مادقو

دورية إلكترونية مُحكّمة ربع سنوية ISSN: 2090 – 0449

(Madougou)، فقد شُيد هذا القصر على يد شاعر الأندلس أبو أسحق إبراهيم الساحلي.[٧١]

أورد الباحث جيمس غراي جاكسون، أن المدينة محاطة بسور عظيم، يصل ارتفاعه أثني عشر(١٢) قدما(٣.٩٦م)، وهو قوي بما فيه الكفاية لحماية المدينة، وبه ثلاث أبواب: الباب الأول وهو 'باب الصحراء'، وموقعه شمال المدينة، وهو يؤدي إلى الصحراء الكبرى. والباب الثاني، وهو 'باب النيل' يقصد بالنيل – نهر النيجر-، ويقع جنوب المدينة وهو يؤدي إلى نهر النيجر. أما الباب الثالث فهو 'باب القبلة' الواقع شرق المدينة وهذه الأبواب تغلق كل مساء بعد غروب الشمس بفترة وجيزة، والأبواب مصنوعة من الأخشاب ومبطنة بجلود الإبل.[٧٢] هذا السور حطمته قبائل الفولان عند غزوهم المدينة سنة ١٢٤٢هـ/١٨٢٦م.[٧٣]

بارث- أحد أولئك الزوار- يقول إن الأبنية مبنية من الطين ذات أشكال وأحجام مختلفة،[٧٤] ومصطفة في شوارع منتظمة،[٧٥] وبعضها منخفض وبعضها عال، وبعضها مزخرف وبعضها محاط بأكواخ قش،[٧٦] وشوارعها ضيقة، وطويلة وبها متاهات مستعصية، ومجالات غير متوقعة.[٧٧] أما رينيه كاليه فذهب إلى وجود شوارع واسعة.[٧٨] وصف بارث المنزل الذي سكن فيه، إذ يقول: "منزل يشرف على منظر جميل للجوانب الشمالية للمدينة، وكان يرى من منزله جامع سنكوري، يقول، الذي يعد من أهم مساجدها وجوامعها".[٧٩]

والباحث Hacquard يصف لنا أحد هذه المباني، إذ يقول: "يعلق في الباب حلقة من حديد،... وتوجد أول غرفة التي يقال لها سيفا Sifa لاستقبال الضيوف، ثم يوجد بهو محاط بغرف خاصة بالنساء، وفي الطابق الثاني، توجد غرف قد يصل عددها أثنين أو ثلاث، وهناك غرفة مخصصة لاستقبال الأصدقاء، والأشخاص المميزين". لكن لا يمكن الاعتقاد أن كل المنازل تملك هذا الطابق، الطابق الثاني، ولا توجد المباني ذات ثلاث طوابق. إلى جانب آخر هناك أكواخ القش، يسكنها العبيد، والفقراء وليست غالبًا مبنية من خيام الجلد،[٨٠] وإن وجدت فهي ذات شكل دائري تقريبًا،[٨١] وهي منخفضة جدًا.

الأثاث يتكون من أواني الطبخ،[٨٢] الأطباق تصنع من الخشب، ولا يستعملون الملاعق ولا الأشواك،[٨٣] وصناديق مصنوعة من الحطب توضع فيها الألبسة، والأشياء الثمينة فضة أو صيغ (صيغة)، السرير من القش،[٨٤] ويتركز السرير على أربعة أرجل ويضعون عليه الحصائر، أو جلود البقر. أما الأثرياء فيفرشون أسرتهم بالأفرشة القطنية أو الصوفية، أو المصنوعة من جلود الجمال،[٨٥] وبعض الأغطية موضوعة على حصيرة أو على كارا Kara منصة مصنوعة من الحطب، وهناك وسائد وحصائر، وأغطية مصنوعة من الصوف، وهي ذات ألوان متعددة.[٨٦] هذه الأكواخ توجد على الأطراف الشمالية والشرقية للمدينة، وهى تشكل امتدادًا للمدينة شمالاً سكنها البلاه،[٨٧] أو العبيد من الطوارق.

وهناك الأسواق، مثله السوق الكبير المسمى يوبو- بار-Yobou-ber[٨٨]، بالإضافة إلى المخازن والمستودعات وأحياء للأجانب المقيمين والعديد من الحوانيت، والورش الصناعية.[٨٩] أما عدد المساكن المبنية والمهدمة فقد اختلف المؤرخون في إحصائها. أفاد الباحث جيمس غراي جاكسون أن عدد المنازل في مدينة تنبكت في أواخر القرن ١٨م بحوالي ١٨٠٠منزل.[٩٠] أما الرحالة الألماني بارث فقد أكد على أن البيوت التي كانت في حالة جيدة بما يربوا ٩٨٠ منزلاً، وبضع مئات من أكواخ مخروطية التي سبق وأن أشرنا إليها. أما الدكتور أوسكار لانز فيرى أن عدد المنازل يقدر بـ٣٥٠٠منزلاً، ومعظم السكان يتمركزون في الجزء الجنوبي من المدينة.[٩١]

ويوجد في المدينة ثلاث مساجد كبرى؛ مسجد جنكربير، ومسجد سنكري، ومسجد سيدي يحيى.[٩٢] والمدينة كثيرة التعرض لخطر الحريق، في الوقت الذي كان حسن الوزان فيها، شب حريق أتى على نصف المدينة في فترة خمس ساعات، وكانت الريح عاتية، وأخذ سكان النصف الثاني من المدينة في إخلاء أمتعتهم خوفًا من أن تحترق أجسامهم كلها.[93]

سادسًا: التطور السياسي للمدينة

بعد دراسة التطور العمراني للمدينة، ندرس الآن التطور السياسي لمدينة تنبكت، إذ وقعت تحت سيادة العديد من القوى. والمؤرخ السوداني عبد الرحمن السعدي، يلخص هذه القوى المتعاقبة على حكمها ويعطي مدة حكم كل قوة فيقول: أن أول من ابتداء الملك في تنبكت هم أهل ملى، ودولتهم استمرت مائة عام وتاريخها من (٧٣٧-٨٣٧)هـ، (١٣٣٧ - ١٤٣٤)م، وبعد أفول هذه القوة سيطر عليها طوارق مغشرن مؤسسوها، ابتداءً من سنة ٨٣٧هـ/١٤٣٤م واستمر حكمهم إلى غاية سنة ٨٧٣هـ/١٤٦٨م، ثم استولى عليها سني علي، وابتدأ الحكم في سنة ٨٧٣هـ/١٤٦٨م، واستمر حكمه ٢٤ عام، وتاريخه (٨٧٣ - ٨٩٨)هـ، (١٤٦٨ - ١٤٩٢)م، ثم سيطر عليها أمير المؤمنين أسكيا الحاج محمد،[64] حكم الأسقيين، ومدة حكمهم١٠٠عام، (٨٩٨ - ٩٩٩)هـ، (١٤٩٣ - ١٥٩١)م، وبعد ذلك سيطر عليها الشريف الهاشمي السلطان مولاي أحمد الذهبي سنة ٩٩٩هـ/١٥٩١م.[٩٥]

٦/١- تنبكت في عهد مملكة مالي[٩٦] (٧٣٧- ٨٣٧)هـ،(١٣٣٧-١٤٣٤)م:

السلطان منسى موسى[٩٧]هو أول الملوك الذين حكموا تنبكت وجعل فيها خليفة له، وابتنى بها دار السلطنة "دار السلطان".[٩٨] وحظيت تنبكت بعناية منسى موسى الذي انطلق منها في رحلته إلى الحج الشهيرة، وهذا كبادرة على إشهارها وتكريمًا لها.[٩٩] ويقال أنه أخذ معه نحو ١٠ إلى ١٢ طن من الذهب لتغطية نفقات سفره،[110] وبعد عودته من الحج اصطحب معه شاعر الأندلس أبو إسحاق إبراهيم الساحلي، السابق ذكره، والمعروف بالطويجن،[101] الذي كلف ببناء مسجد ضخم بالمدينة، ليكون ملتقى لعلماء المدينة وأئمتها، ولباقي علماء المنطقة،[102] أُطلق عليه اسم مسجد جنكر

دورية إلكترونية. مُحكّمة. ربع سنوية ISSN: 2090 – 0449

بير(سبق ذكره) ومعناه الجامع الكبير، كما كلف ببناء القصر الملكي مادقو (Madougou)،[103] وكأفاه السلطان على هذا العمل بما يبلغ ٦٥ ألف جنيه.[104] أما عبدالرحمن بن خلدون فيقول أن السلطان كافأه باثني عشر ألفا (١٢,٠٠٠) مثقال من التبر،[١٠٥] وأصطحب منسى موسى عددًا من رجال الدين، والتجار[١٠٦]. ولما توفى السلطان بعد خمسة وعشرين(٢٥)سنة من حكمه، خلفه ابنه منسا مغا حكم أربع سنوات، ولما هلك خلفه منسا سليمان بن أبي بكر وهو أخو منسا موسى، وحكم أربع وعشرين سنة.[١٠٧] بنى منسا سليمان المساجد والجوامع والمنارات وأقام بها الجمع، والجماعات والآذان وجلب الفقهاء من مذهب مالك "رضي الله عنه".[١٠٨]

زار الرحالة المغربي الشهير ابن بطوطة مدينة تنبكت سنة ٧٥٣هـ/١٣٥٢م، برفقة جماعة من تجار سجلماسة، وذكر أن أهلها كانوا من المسلمين، وكانت قبيلة من مسوفة سيدة القبائل فيها، وبهذه البلدة قبر الشاعر أبي إسحاق الساحلي الغرناطي، وبها قبر سراج الدين بن الكويك[١٠٩]من كبار تجار الإسكندرية، ووجد أن الحياة آمنة،[١١٠] رغم تعرضها للنهب من طرف قبائل الموسي عام ١٣٣٧م،[١١١] أما كورنفان Cornevin فيرى أن قبائل الموسي نهبوا المدينة سنة ٧٣٣هـ/١٣٣٣م[١١٢]. وبعد وفاة منسى سليمان، بدأت المملكة في الضعف، وأصبحت تعاني من الاضطرابات التي مافتئ المتنافسون على العرش من بين أفراد الأسرة الحاكمة يثيرونها.[١١٣]

٢/٦- تنبكت في عهد طوارق مغشرن
(٨٣٧-٨٧٣)هـ. (١٤٣٤- ١٤٦٣)م:

في آخر دولة مالي، أخذ طوارق مغشرن يغيرون عليها، ويفسدون في الأرض من كل جهة ومكان،[١١٤] هؤلاء أعادوا احتلالها بحجة أنهم أول من أسسها، فبعد هجمات عديدة على حصونها وقلاعها سيطر الطوارق عليها،[١١٥] بينما الباحث الإنجليزي ترمنجهام يرى أن الطوارق احتلوا المدينة دون أي مقاومة، وفرضوا سيطرتهم عليها،[١١٦] وأثناء تولي الطوارق لإدارة شؤون مدينة تنبكت ساد العدل والأمان مرة أخرى، كما استتب الأمن على قوافل التجارة القادمة منها، والمتوجهة إليها من شمال إفريقيا، واشتهر حاكمها في تلك الفترة عقيل أغ ملوك باحترامه، وتبجيله للعلماء، ووفر لهم فرص مواصلة القيام بواجباتهم على أحسن وجه وفي نهاية حكم الطوارق للمدينة سادت الفوضى في المدينة حيث بدأ حكامها من أسرة أغ ملوك في آخر عهدهم يتطاحنون على السلطة، وهو الأمر الذي أدى إلى تدهور التجارة، وكساد أموالها، ووصل الأمر بأحد سلاطين نهاية تلك الفترة من الطوارق إلى مضايقة علمائها، ووعاظها، بل مارس ضدهم التعذيب، والاعتقال الأمر الذي دفعهم إلى الاستنجاد بسلطان مقاطعة مالية كانت يومها تنهض ببطء، لتأخذ مكانة إمبراطورية مالي الآفلة، وهي سنغاي.[١١٧]

٣/٦- تنبكت في عهد مملكة سنغاي[١١٨]:

في عهد حكم سني علي (٨٧٣- ٨٩٨)هـ.(١٤٦٨- ١٤٩٢)م:

استجاب سلطان سنغاي يومها وهو سني علي بير، والذي يعني اسمه (المنقذ الكبير علي)، سني علي قام بالهجوم على الطوارق في تنبكت فتغلب عليهم وأخضع المدينة لنفوذ دولته الوليدة، وما حدث هنا بالنسبة لسكان المدينة، وعلمائها، اتضح أنهم استنجدوا بطاغية دموي مارس على المدينة وأهلها حكمًا إرهابيًا، حيث بدأ عهده بمطاردة علماء المدينة ووعاظها، وشيوخها،[١١٩] بالإضافة إلى النهب والسلب،[١٢٠] استمر حكمه لأكثر من ثلاثين عامًا.[١٢١] يقول عنه السعدي: "أنه ظالم، وفاجر... تسلط على العلماء، والصالحين بالقتل والإهانة، والإذلال... تملك العباد والبلاد،... دخل تنبكت في سنة ٨٧٣هـ/١٤٦٨م".[١٢٢] أما محمود كعت فيقول عنه أنه فاجر، وفاسق.[١٢٣] المؤرخان السودانيان السعدي وكعت أعطيا صورة غاية في البشاعة عن شخصية سني علي.

وفي المقابل، امتدحه عدد من المؤرخين القدامى من أمثال حسن الوزان، الذي قال في حق سني علي، كان رجلاً عظيمًا.[١٢٤] أما الباحثان مونتاي، وبازل دافدسون، فقد اتفقا على أن سني علي شخصية قاسية شجاعة، متمرسة بالحرب، والفتوحات. استقل قوته ومهابته فوسع من رقعة مملكته فأضاف إليها تنبكت.[١٢٥] يقول المؤرخ محمود كعت، أن سني علي بعث برسوله إلى بلد تنبكت، ليأمر أهلها بالرحيل عنها رسول سني علي أخرج سيفًا، وقال: هذا سيفه! من بات في البلد هذه الليلة سأذبحه بسيفه... فما كان كلمح البصر حتى رحل الجميع، بعضهم من لم يحمل عشاء ليلته، وبعضهم لم يأخذ فراشًا، ومنهم ماش، وله خيل في داره تركه توهمًا منه أن ربط السرج أمره يطول، ومنهم من خرجوا وما قفلوا أبواب بيوتهم، وبات أكثر ضعافهم ومشايخهم، ومرضاهم الذين لم يجدوا من يحملهم، والعمى لا فائدة له، وما وصل وقت المغرب حتى خلت تنبكت من كل أحد.[١٢٦]

خاتمة

بعد هذه الدراسة خرجنا بمجموعة من الاستنتاجات والملاحظات:

- أن مدينة تنبكت، مدينة حديثة النشأة، أنشأها طوارق مغشرن في أواخر القرن ٥هـ/١٠م أخذت أسمها من تلك العجوز البربرية التي كانت تقيم عند بئر كان ينزل عنده الطوارق ليرتووا من مائه ويملئون منه قربهم، وهؤلاء الطوارق كانوا عندما يغادرون المكان يتركون أمتعتهم عند تلك العجوز لتحرسها لهم، هذه العجوز عُرفت بالأمانة، ومع مرور الزمن عرف المكان باسمها، تطور المكان ليصبح مدينة كبيرة لها شأن عظيم فيما بعد.
- أن مدينة تنبكت تقع على الحافة الجنوبية من الصحراء الكبرى، تحط بها القوافل التجارية، وبالتالي هي عبارة عن محطة تقف فيها القوافل الآتية من الشمال، وهذا يعني أنها همزة وصل بين الشمال الصحراء وجنوبها. هذا من جهة، ومن جهة أخرى هي تقع بالقرب من نهر النيجر الذي سهل ونشط حركة التنقل بين مختلف المراكز السودانية الموجودة هناك.

دورية إلكترونية. مُحكّمة. ربع سنوية
ISSN: 2090 – 0449

ومنه نستطيع القول بأن مدينة تنبكت هي محطة تجارية تصلها القوافل القادمة عبر الصحراء، والقوافل الآتية عبر النهر.

- سكن مدينة تنبكت العديد من الأجناس من العرب والبربر القادمين من الشمال الإفريقي بالإضافة إلى سكان السودان الغربي السوننكيين، والماندينغ، هؤلاء تزاوجوا فيما بينهم، وبالتالي اختلطت الدماء العربية، والبربرية بدماء السودانيين، وكانت هناك عناصر من الموريون القادمون من غرناطة بعد سقوطها، ووجود تجار من إيطاليا، ومنه نقول أن المدينة سكنها عدة أجناس.
- مدينة تنبكت في بداية أمرها كانت فيها بنايات من الأخشاش، والزرائب ومع مرور الزمن تطورت، وأصبحت هناك مباني كبيرة واسعة، منها ذات طابق واحد، وأخرى بطابقين، هذه المباني مصتفة في شوارع طويلة ونظيفة، وبها عدة حومات.. وهناك أكواخ وخيام يسكنها الفقراء والعبيد.
- أصبحت المدينة مركزًا كبيرًا من مراكز العلم، وخاصة في عهد السلطان منسى موسى الذي شملها برعايته فأمر ببناء مسجد كبير، وجلب إليها العلماء، والمهندسين...الخ، فأصبح هذا المسجد فيما بعد معهدًا علميًا تخرج منه مشاهير الفقهاء، والأدباء الذين بنوا نهضة علمية وأدبية رائعة في السودان الغربي في أواخر القرون الوسطى بشكل خاص. وبعد سقوط مملكة مالي، سيطر عليها الطوارق المؤسسون، هم بدورهم اهتموا بها ودعموا علماءها وحفزوهم على طلب العلم والمعرفة، وبعد ضعف حكمهم احتلها سني علي.
- خضعت مدينة تنبكت لحكم مملكة سنغاي على عهد الأسقيين، في نهاية القرن ١٥م، وفي القرن الموالي زادت المدينة تطورًا وازدهارًا في الجانبين الاقتصادي والثقافي.

الهوامش:

(١) عمر بن سالم بابكور، **النهضة العلمية والثقافية في مدينة تمبكت الإسلامية في القرن العاشر الهجري/ السادس عشر الميلادي**، دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر، الإسكندرية،٢٠٠٤، ص١.

(2) John Marriner, **Sailing to Timbuctoo**, William kimber, London, 1973. p.173.

(3) Dubois Felix, **Tombouctou la Mystérieuse**, la Brnieie Elammarion, Paris, 1897. P.262

(4) علي عبد اللطيف، **تمبكتو أسطورة التاريخ**، الطبعة الأولى، دار الكتب الوطنية بنغازي،٢٠٠١. ص٨٥ وما بعدها.

(5) John, (M) ,Ibid. p.181.

(6) Sekené Mody Cissoko, **Tombouctou et L'Empire Songhay**, nouvelles éditions Africaines. Dakar. Abijan. 1975. P.17.

(٧) عبد الرحمن بن عبد الله بن عمران بن ناصر السعدي، **تاريخ السودان**، تحقيق هوداس وبنوة، باريس١٩٦٤، ص٢١.

(٨) الحسن الوزان، **وصف إفريقيا**، ترجمة عبد الرحمن حميدة، راجعه علي عبد الواحد، المملكة العربية السعودية، دون تاريخ، ص.٥٣٩.

(٩) مارمول كربخال، **إفريقيا**، ترجمة محمد حجي ومحمد زنير وآخرون، ٣ أجزاء، دار نشر المعرفة، الرباط، ١٩٨٩ الجزء ٣، ص٢٠١.

(١٠) الهادي المبروك الدالي، **التاريخ السياسي والاقتصادي لإفريقيا فيما وراء الصحراء من نهاية القرن الخامس عشر إلى بداية القرن الثامن عشر**، الطبعة الأولى، الدار المصرية اللبنانية، ١٩٩٩، ص٦٣.

(11) Fage (W), **History of west Africa** , Cambridge At the university, press,1969. P.22.

(١٢) **أروان**: مدينة تقع إلي الشمال من مدينة تنبكت، احتضنت صفوة من علماء السودان. راجع: مولاي أحمد بابير الاروانى، **السعادة الابدية في التعريف بعلماء تنبكت البهية**، تحقيق الهادي المبروك الدالي، الطبعة الأولى، جمعية الدعوة الإسلامية العالمية، بنغازي،٢٠٠١. ص٤٨.

(١٣) ماري بيرنبام، "**مدينة تمبكتو في أواخر القرن التاسع عشر**"، مجلة البحوث التاريخية، يناير ١٩٨٩، العدد الأول، ص ٩٨.

(14) Trimingham, (S), **History of Islam in west Africa**, oxford university press, ,n.d. P. 31.

الباحث: قمت بتحويل **السنة الهجرية إلى السنة الميلادية، والعكس**، معتمدًا في ذلك على **العملية الحسابية** التالية: **السنة الميلادية = (السنة الهجرية x٣٢/٣٣+٦٢٢)، السنة الهجرية= [٣٣ (السنة الميلادية-٦٢٢)/٣٢]**.

(١٥) عصمت عبد اللطيف دندش، **دور المرابطين في نشر الإسلام في غرب إفريقيا (١٠٣٨-١١٢١)هـ**، الطبعة الأولى، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ١٩٨٨، ص ١٦٣.

(16) John ,(M) , op.cit.p.173.

(17) Sekené, (M,C), op.cit.p.17

(١٨) لوثروب ستودارد، **حاضر العالم الإسلامي**، ترجمة عجان نويهض، الطبعة الرابعة، دار الفكر، المجلد الثاني، ص٣١٨.

ينظر: عبد القادر زبادية في تعريف السودان الغربي يشمل حوض السنغال الآن وغامبيا، وبوركينافاصو 'دلتا العليا سابقًا' والنيجر الأوسط، **مملكة سنغاي في عهد الأسقيين (١٤٩٣-١٥٩١)م**، المؤسسة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر. دون تاريخ، ص١١.

(١٩) مولاي أحمد بابير الأرواني، المصدر السابق، ص٤٥.

(20) Faidherbe, (L) **Le Sénégal la France dans l'Afrique occidentale**, librairie hachette et cie paris,1889. P. 349.

(21) Oskar Lanz, **Timbouctou voyage au Maroc au Sahara et au Soudan**, paris,1887, P.147

(٢٢) هذه القياسات حسبتها انطلاقًا، من:١ **ميل يساوي ١٦٠٩ مترًا تقريبًا**.
(٢٣) مولاي أحمد بابيرالارواني، المصدر السابق، ص٤٥.
(٢٤) إسماعيل العربي، **الصحراء وشواطئها**، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر،١٩٨٣، ص٣١٢.
(25) Hacquard,(A), **Monographie de Tombouctou**,Société des études coloniales & maritimes,paris,1900.p.1.
(26) Barth, (H),**Travels and discoveries in north and central Africa,** vol3, London ,1859, P. 264.
(27) Boubou, (H), **Histoire des Songhay**, by présence Africaine, paris, 1968. P. 321 - 322.
(28) Hacquard,(A), op.cit.p.1.
(٢٩) البستاني، البستاني بطرس، **دائرة المعارف البستاني**، بيروت، ١٨٨٦، مج ٦، مادة تنبكتو، ص٢١٠.
(30) Oskar, (L), op.cit. P.150.
اختلف المؤرخون، والباحثون في نطق هذه الأحياء، فمثلاً: حي سناقونقو(Sanegoungou) نطقه الباحثSekené mody cissoko سنكي مودي سيسوكو بـ سناقونقون(Sanegoungoun)، وكذا حي يوبو (youbou)، نطقه بـ يوبو بير(Youbou-Ber)، وحي سنقوربير أو (ديجنقر)(Sanguereber)، نطقه حنقر بير(Jinguere-Ber)، وحي ساراكينا(Sarakaina)، نطقه (Sarekeina)، وحي بيري كوندا (Biricounda)، نطقه(Binicounda)، وحي باقندي(Baguindi)، نطقه (Badjnde)، ينظر:
Sekené, (M,C), op,cit.p.243.
وحي سنكوري (Sankoré)، نطقه المؤرخ فليكس ديبوا بهذا اللفظ، ينظر:
Dubois,(F), op.cit,p.385.
(31) Hacquard, (A), op.cit.p.1.
(٣٢) عبد الرحمن السعدي، المصدر السابق، ص٢١. أيضًا
Dubois,(F),op.cit.p.264.
(٣٣) المرجع نفسه، ص٢١.
(٣٤) **ولاتة**: هي إحدى مدن جمهورية موريتانيا حاليًا، ولكن لم يرد تاريخ يحدد تأسيسها. الهادي المبروك الدالي، المرجع السابق، ص٣٠٥.
(٢٥) علي محمد عبد اللطيف، المرجع السابق، ص٨٦.
(٣٦) **ودان**: تقع جنوب مدينة صرت، وهي منطقة بها نخل، وذات عمارة. الشريف الإدريسي، **نزهة المشتاق في اختراق الأفاق**، المجلد الأول، مكتبة الثقافة الدينية، دون تاريخ، ص٣١٢.
(٣٧) لوثروب ستودارد، المرجع السابق، ص ٣٦١.
(٢٨) الحسن الوزان، المصدر السابق، ص ٥٤١.
(٣٩) محمود كعت، المصدر السابق، ص ٢٣.
(٤٠) لوثروب ستودارد، **حاضر العالم الإسلامي**، ترجمة عجان نويهض، تعليق الأمير شكيب أرسلان، الطبعة الثالثة، دار الفكر العربي، دون تاريخ، المجلد الثاني، الجزء الثالث، ص٤٥.
(٤١) فرج محمود فرج، **إقليم توات خلال القرنين الثامن عشر والتاسع عشر الميلاديين**، ديوان المطبوعات الجامعية، ٢٠٠٧، ص١٢٥.
(42) Dubois,(F),op.cit.p345.
(٤٣) أحمد الفتوري، "**الجاليات العربية المبكرة في السودان: دراسة أولية وبعض الملاحظات**"، مجلة البحوث التاريخية، ١٩٨١، العدد٢، جويلية، ص ٢٥٠.
(٤٤) ماري بيرنبام، مجلة البحوث التاريخية، المرجع السابق، ص١٠٠.
(٤٥) الحسن الوزان، المصدر السابق، ص٥٣٦.
(46) Dubois,(F),op.cit.p.256.
(47) Caillié René, **Journal d'un voyage a Temboctou et à jenné dans l'Afrique Centrles** tome2, édition anthra- opos, paris, p.306.
(48) John ,(M),op.cit.p.175.
(٤٩) شعباني نور الدين، **علاقات ممالك السودان الغربي بدول المغرب الإسلامي وآثارها الحضارية بين القرني(٤-٩)هـ.(١٠-١٥)م**، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة الجزائر، السنة الجامعية ٢٠٠٥/ ٢٠٠٦م، ص ٢٠٠.
ينظر: كاتب مجهول في تعريف الباشا جودر: هو فتى قصير أزرق، وهو أول باشا من مراكش،... استمرت فترة حكمه٩ أشهر، دخل تنبكت وبنى القصبة. مجهول، **تذكرة النسيان في أخبار ملوك السودان**، نشره هوداس، باريس،١٨٩٩، ص٣ وما بعدها.
(٥٠) **أرما**: وهو جيل هجين، نشأ من تناسل أفراد الجيش المغربي، مع سودانيات. محمد بن عبد الكريم المغيلي، **أسئلة الاسقيا وأجوبة المغيلي**، تحقيق عبدالقادر زبادية، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، ١٩٧٤. ص١٦.
(٥١) قنسان مونتاي، **الإسلام الأسود**، ترجمة إلياس حنا إلياس، الطبعة الأولى، دار أبعاد، بيروت، ١٩٨٣، ص٦٠.
(٥٢) الحسن الوزان، المصدر السابق، ص٥٤٢. ينظر أيضًا: مارمول، المصدر السابق، ص٢٠٠٣.
(53) Sekenè,(M.C),op.cit.p.172.
(٥٤) مولاي أحمد بابير، المصدر السابق، ص٤٩.
(55)Caillie, (R), op.cit.p.319.
(٥٦) ماري بيرنبام، مجلة البحوث التاريخية، المرجع السابق، ص٩٩ .
(57)Caillie,(R),Ibid.p.331.
(٥٨) ماري بيرنيام، نفسه، ص٩٩.
(59) Dubois,(F), op.cit.p.278.
(60) Hacquard,(A), op.cit.pp.28 -30.
(61) Sekené,(M,C), op.cit.p.171.
(62) Jean Suret Canale,**Afrique Noire Occidentale et Centrale,** éditions sociales,paris,n,d p.181.
(٦٣) سينكي مودي سيسوكو، **الصنغي من القرن١٢م إلى القرن ١٦م، تاريخ إفريقيا العام**، اليونسكو١٩٨٨، المجلد الرابع، ص٢١٧.
ينظر: عبدالقادر زبادية في التعريف بشخصية أسكيا داوود (١٥٤٩- ١٥٨٢)م حكم أسكيا داوود عرش سنغاي ٣٣ عامًا، وهو من أبرز السلاطين من أل سنغاي...، وقد أشتهر بحنكته السياسية. المرجع السابق، ص ٤٥.
(64)Dubois,(F),op.cit.p.302
(٦٥) عمار هلال، **الطرق الصوفية ونشر الإسلام والثقافة العربية في غرب إفريقيا السمراء**، مديرية الدراسات التاريخية وإحياء التراث، الجزائر، دون تاريخ، ص٧٦.
(66) Barth,(H),op.cit.p.325.
(67) Sékéné (M,C),**"La vocation culturelle deTombouctou à l'unité du monde African**", in Revue Le Culture Africaine, 21juillét-1 aout 1969.p.222.
(68) Dubois,(F),op.cit.p.325.
(69) Hacquard,(A),op.cit.p.24.
(٧٠) عبدالرحمن السعدي، المصدر السابق، ص ٢١ وما بعدها.
(٧١) الحسن الوزان، المصدر السابق، ص ٥٤٠ .
(72) Sekené,(M-C),Tombouctou et l'empire songhay,p.33.
ينظر أبو بكر إسماعيل محمد ميقا في تعريف أبو إسحاق إبراهيم الساحلي شاعر الأندلس المهندس المعماري، المتوفى في تنبكت سنة ١٣٤٦م، وكان السلطان منسى موسى قد تعرف عليه بمكة خلال حجه، ودعاه إلى بلاده، وصحبه في عودته، وهو الذي ادخل هندسة البناء، وزخرفته إلى السودان. "**تاريخ الثقافة الإسلامية والتعليم في السودان الغربي من القرن ٤هـ حتى مطلع القرن ١٣هـ**". مجلة الدارة، ربيع الأول، ١٩٩٣، العدد الثاني، ٢٢٣.

دورية إلكترونية. مُحكّمة. ربع سنوية
ISSN: 2090 – 0449



(73) Janes Grey Jackson, **An Account of Timbuctoo and Hausa**, London, 1820, pp.9-10

(٧٤) ماري بيرنبام، مجلة البحوث التاريخية، المرجع السابق، ص٩٩.

(75) Barth,(H),op.cit.p.302.

(76) Dubois,(F),op.cit.p.269.

(77) Barth,(H),. op.cit p.303.

(78) Maurice Bitter, " **Tombouctou Capitale du dessert**", in Revue Connaissance du monde,France,n 22, 1960, p.26.

(79) Caillie,(R),op.cit.p.311.

(80) Barth,(H),.p op.cit.303.

(81) Hacquard,(A),.op.cit.pp.6.

(82) Caillie,(R), Ibid..p.311.

(83) Hacquard,(A),. Ibid.p.7.

(84) Caillie,(R),op.cit.p319.

(85) Hacquard,(A),op.cit.p.7.

(86) Caillie,(R), Ibid.pp.319-320.

(87) Hacquard,(A), Ibid.p.8.

(٨٨) **البلاه**: هم عبيد ولدوا في معسكرات الطوارق، وهم نتاج تزاوج الطوارق مع السود. هؤلاء كانوا، يؤدون جميع الأعمال، حتى أنهم عملوا في جيوش الطوارق، وكانوا مشهورين بالإخلاص لسادتهم. ماري بيرنيام، المرجع السابق، ص١٠٦.

(٨٩) ماري بيرنيام، مجلة البحوث التاريخية، المرجع السابق، ص ٩٨.

(90) Janes,(G-J),op.cit.p.17.

(91) Oskar,(L),op.cit.p.150.

(92) Barth,(H),op.cit.p.325.

(٩٣) الحسن الوزان، المصدر السابق، ص ٥٤٢.

(٩٤) **أسكيا(اسقيا) الحاج محمد الأول**: سراكولي الأصل، وكان أجداده قد هجروا من الجنوب الموريتاني الحالي،... وسكنت حول النيجر الأوسط وامتزجت في قبيلة سنغاي،...أصبح الاسقيا محمد أحد الضباط البارزين في جيش الأمير سني علي،...وفي سنة ١٤٩٣ قام الأسقيا محمد بثورة ضد سني علي واستولى على عرش سنغاي، فبدأ منذ ذلك الوقت عهد الأسقيين في سنغاي الذي استمر حتى سنة ١٥٩١. محمد بن عبد الكريم المغيلي، المصدر السابق، ص١٠ وما بعدها.

(٩٥) عبدالرحمن السعدي، المصدر السابق، ص٧ وما بعدها.

(٩٦) **مملكة مالي**: تأسست على أنقاض إمبراطورية غانا سنة (٦٣٦-٦٥٣)هـ.(١٢٣٨-١٢٥٥)م على يد قبائل الماندوجو بقيادة سندياتا كيتا الذي هزم قبائل الصوصو في معركة كيرينا، أشهر ملوكها منسى موسى، سقطت على يد الملك سني علي عام ١٦٦٤م. الهادي المبروك الدالي، محقق، مخطوط السعادة الأبدية لمولاي أحمد بابير الارواني، ص ٥٤ وما بعدها.

(٩٧) **منسى موسى**: اختلف عدد من المؤرخين في اسمه فمنهم مَن أطلق عليه موسى ابن أبي بكر الأسود،... ومنهم مَن أطلق عليه موسى بن أبي بكر،... وهناك مَن سماه بـ منسى موسى بن أبي بكر،.. واشتهر باسم منسى مسى أو كنكه موسى، ومنسا في لغة الزنج تعني ملك وموسى اسمه، أما لقبه كنكه موسى فكنكه اسم أمه، وهو ما درج عليه أهالي السودان الغربي من نسبة الابن إلى أمه. الهادي المبروك الدالي، **التاريخ السياسي والاقتصادي لإفريقيا فيما وراء الصحراء من نهاية القرن الخامس عشر إلى بداية القرن الثامن عشر**، ص٥٦ وما بعدها.

(٩٨) عبدالرحمن السعدي، نفسه، ص٢٢.

(٩٩) علي محمد عبد اللطيف، المرجع السابق، ص٨٨. ينظر أيضًا:

Trimngham,(S),op.cit.p.78.

(100) Hubert, (D), **Histoire générale de l'Afrique noire**; tome1:des origines à1800,paris, P.192.

(101) عبد الرحمن بن خلدون، **العبر وديوان المبتدأ والخبر**، ٧ أجزاء، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، ٢٠٠٠، الجزء ٦، ص٢٦٧.

(102) Sekené, (M-C),Tombouctou et l'empire Songhay, p. 33.

(103) Boubou,(H),op.cit.p.322.

ينظر أيضًا: علي محمد عبد اللطيف، المرجع السابق، ص ٨٨ وما بعدها.

(١٠٤) آدم عبد الله الالوري، **موجز تاريخ نيجيريا**، منشورات دار مكتبة الحياة، بيروت، ١٩٦٥، ص١٥٦.

(١٠٥) عبد الرحمن السعدي، المصدر السابق، ص٢٢.

(١٠٦) علي محمد عبداللطيف، المرجع السابق، ص٨٩.

(107) Trimngham, (S), op.cit.p.74.

(١٠٨) علي محمد عبد اللطيف، نفسه، ص ٨٩ وما بعدها.

(١٠٩) عبد الرحمن بن خلدون، المصدر السابق، الجزء ٦، ص٢٦٨.

(110) Hubert,(D),op.cit.p.193.

(١١١) عبد الرحمن بن خلدون، المصدر السابق، الجزء٤، ص٢٠١.

(١١٢) أحمد بن علي القلقشندي، **صبح الأعشا في صناعة الأنشا**، تعليق وشرح محمد حسين شمس الدين، ١٥جزاء، دار الكتب العلمية، بيروت، دون تاريخ، الجزء٥، ص٢٨٥.

(١١٣) **سراج الدين بن الكويك**: هو أحد كبار تجار الإسكندرية، سلف مال لسلطان منسى موسى أثناء حج هذا الأخير، يقول: أن سراج الدين ذهب إلى تنبكت لاسترجاع ماله، فكان من القدر موته في تلك الليلة التي وصل فيها. ابن بطوطة، المصدر السابق، ص ٦٩٤ وما بعدها.

(١١٤) ابن عبدالله محمد بن عبدالله اللواتي الطنجي، **رحلة ابن بطوطة**، دار صادر، بيروت،١٩٦٤، ص٦٩٤.

(115) Sekené,(M,C),Tombouctou et l'empire Songhay,P.32.

(116) Cornevin Rober, **Histoire de l'Afrique**, tome1, paris,1962, p.360.

(١١٧) عبد القادر زبادية، **الحضارة العربية والتأثير الأوربي في إفريقيا الغربية جنوب الصحراء**، دراسات ونصوص المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر،١٩٨٩، ص١٩.

(١١٨) **مملكة سنغاي**: نسبة إلى قبيلة سنغاي، وهي قبيلة كانت تسكن النيجر حول حدود الغابات الاستوائية في سنوات الميلاد، ثم أخذت تنتقل إلى الشمال حول جوانب النيجر، وفي القرن ٧م كانت تمتد مساكنها حول النيجر بحوالي ١٥٠كلم، أما الآن فإن السنغائيين يبلغ تعدادهم حوالي ٦٥,٠٠٠ نسمة، ويتوزعون بين جمهورية النيجر، ومالي. عبد القادر زبادية، المرجع السابق، ص٢٥.

(١١٩) علي محمد عبداللطيف، المرجع السابق، ص٩٢.

(102) Faidherbe,(L).op.cit.p.352.

(١٢١) علي محمد عبداللطيف، المرجع نفسه، ص٩٢.

(١٢٢) عبد الرحمن السعدي، المصدر السابق، ص٦٤ وما بعدها.

(١٢٣) محمود كعت، المصدر السابق، ص٤٣.

(١٢٤) الحسن الوزان، المصدر السابق، ص٥٣٦.

(١٢٥) بازل دافيدسون، **إفريقيا تحت أضواء جديدة**، ترجمة، محمد جمال الدين، دار الثقافة للنشر والتوزيع، بيروت، بدون تاريخ، ص١٥٩. ينظر أيضًا: مونتاي، المرجع السابق، ص٨٨.

(١٢٦) محمود كعت، المصدر السابق، ص٤٣.

دورية إلكترونية .مُحكّمة .ربع سنوية
ISSN: 2090 – 0449